

الغزو العربي

اثنى عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة، وأجاز معه (أي طارق) كثيرا من رجالات البربر برسم الجهاد فاستقروا هناك فحينئذ استقر الإسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه" (1) فالغاربة شنوا مجموعة من الثورات، سواء على عهد الفاتحين، أو عهد الولاة، لم تنتهي إلا بثورة المغاربة الكبرى التي أعلنوا من خلالها الاستقلال النهائي والتام عن المشرق، وعن السلطة المركزية هناك ليؤسسوا دولا مغربية ستتحوّل إلى إمبراطوريات كبرى تزعمت الغرب الإسلامي لفترة طويلة.

ثورة المغاربة بزعامة كسيلة:

تميزت فترة ولاية عقبة الثانية في بلاد المغرب، بتدشينه لحملة عسكرية قوية بحيث " شن على المغرب غارة من الطراز العالي، قد يكون من المجازفة الاطمئنان إلى وقائعها" (2). وحفلت هذه الحملة بالعمليات العسكرية على امتداد أرض المغرب، من برقة شرقا حتى بحر الظلمات غربا وصولا إلى السوس الأقصى جنوبا.

وبعد عودة عقبة بن نافع من حملته المظفرة، كانت مفاجأة بانتظاره دمرت كل إنجازاته العسكرية الأخيرة وأعدت النفوذ العربي في إفريقية إلى حجمه القديم، فما كاد يصل إلى " طبنة" في إقليم الزاب، حتى أدرك أن تحركا مريبا يقوم به البربر من

(1) - عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ص 113.

(2) - شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 2، تعريب محمد مزالي، 1983.

المبحث الرابع:

ثورات المغاربة ردا على تجاوزات الفاتحين:

"بعدهما يكون المرء، قد اطلع على ردود الفعل التي كانت تصدر، قبل الإسلام عن البربر، كلما هُجموا في عقرداهم، يكون قد أدرك الأسباب التي من أجلها لم تفتح إفريقيا الشمالية كاملة للدين الحمدي إلا بعد لأي وعناء، كان من الطبيعي أن ينظر الأمازيغيون إلى الفاتحين، نظرة المغزو للغازي، لا سيما أن العرب كانوا يطرقون الأبواب، مصحوبين بقضهم وقضيضهم على حد تعبير ابن عبد الحكم، مسلحين مستعدين للقتال، ظاهري الرغبة في السبي والغنم، _ كما رأينا سابقا _ فلا غرابة والحالة تلك أن ينهض الأهالي لرد ما يرونه هجوما استعماريا من النوع الذي كان لهم به سابق عهد ... ومن هذا المنظور ينبغي أن يفهم دور كل من " كسيلة " في مقاومته عقبة بن نافع، و " داهيا " (التي لقبها العرب بالكاهنة) في تصديها لجيوش حسان بن النعمان، و " ميسرة "، ثم " عبد الحميد الزناتي " في مواجهتهما للجيش الأموي العرمرم " (4). " ومن هنا كذلك نفهم رواية ابن خلدون عن أبي زيد القيرواني قوله: ارتدت البربر

(1) - محمد شفيق، لحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، ص 43.

الغزو العربي

على عقبة والانتقام منه ... " (1). " فركبه البربر في الجيوش العظيمة، وغشيه بهم كسيلة بقرب تهودا " (2). " حيث يوجد معقل بيزنطي قديم اعترض كسيلة مع حلفائه سير القائد الأموي فيما يشبه الكمين. وكانت عملية متقنة نجح خلالها المتحالفون في حطيم الفرقة المتبقية من جيش عقبة وذلك بعد معركة قتل فيها هذا الأخير وبقية القواد ومنهم أبو المهاجر بينما غرق الآخرون في بحر من الدماء " (3) " ومعلوم أن جثمان عقبة مدفون في مسجد الواحة التي تحمل اسمه (سيدي عقبة) على بعد خمسة كيلومترات جنوب "تهودة". تحت قبة متواضعة البناء يحج إليها أحفاد الذين ساهموا في مقتله " (4). " ولم يفلت من الموت إلا من وقع أسيرا في أيدي البربر أمثال محمد بن أوس الأنصاري، ويزيد بن خلف العبسي " (5).

وبعد هزيمة عقبة في معركة تهودة انتشر الرعب بين صفوف الجيش الأموي المتبقي في القيروان بقيادة زهير بن قيس البلوي " فالمعروف أنهم كانوا قلة ضئيلة بالقياس إلى حشود البربر الكثيفة التي كان يقودها كسيلة، وواضح أن معظم الجنود العرب قد سئموا القتال في غزوة عقبة، فمالوا للعودة للمشرق... وتقدم كسيلة بعسكره بعد انتصاره في تهودة

(1) - محمد المختار العرابوي، البربر عرب قدامى، ص 43.

(2) - ابن عذاري، البيان المغرب، ص 29.

(3) - إبراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن 1هـ ص 181.

(4) - شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 2، تعريب محمد مزالي، 1983، ص 22.

(5) - عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ص 228.

جماعة كسيلة" (1). في وقت لم يبق معه من جيشه سوى خمسة آلاف" (2) ولا نعلم السبب الحقيقي الذي جعل عقبة يسرح الجزء الأكبر من جيشه وهو في طريق عودته إلى القيروان. " فهل كان ذلك نتيجة لشعوره بضخامة المؤامرة المبينة، فأراد النجاة بجيشه الرئيسي والقيام بعملية انتحارية لاخترق الكمين؟ أم أن الإسراع بإيفاد القسم الرئيسي من الجيش قد تم بأمر الخلافة، تمهيدا لإحاقه بالجيش المركزي في دمشق، حيث كانت تعصف بها أزمات سياسية خطيرة في الوقت نفسه، خاصة في العراق والحجاز " (3). أم أن إرسال هذا العسكر إلى القيروان جاء نتيجة لرغبتهم في " الإياب إلى أحيائهم، والبدار إلى عيالهم " (4) على حد تعليل ابن عذاري، أم أن عقبة " لم يكن عند ذلك مسيطرا على جيوشه المحملة بالغنائم " (5) ففقد السيطرة عليها، وتفرقت رغما عنه.

مهما يكن من أمر جيش عقبة، فإن كسيلة بالمقابل " كان قد جمع أكثر من خمسين ألف مقاتل " (6). واخذ يعد العدة للرد

(1) - إبراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، ص 180.

(2) - عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج 2، ص 227.

(3) - إبراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، ص 181.

(4) - ابن عذاري، البيان المغرب، ص 28.

(5) - شارل اندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 2، تعريب محمد مزالي، 1983، ص 22.

(6) - عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ص 228.

يتمثل في علاقة كسيلة بعقبة بن نافع وما تخل هذه العلاقة من استبداد واستفزاز من طرف هذا الأخير بحيث يذكر المالكي وابن عذاري " أن عقبة أتى يوما بذود غنم فأمر بذبحها للعسكر. وأمر كسيلة أن يسليخ منها مع السالخين. فقال كسيلة: أصلح الله الأمير. هؤلاء فتيانى وعبيدي يكفوني المونة. فقال عقبة: لا. فقام كسيلة مغضبا. فكان كلما لحس. مسح بلحيته. فجعل العرب يمرون به فيقولون: يا بربري ما تصنع؟ فيقول: هذا جيد للشعر. حتى مر به شيخ من العرب فقال لهم: كلا إن البربري يتوعدكم"(1).

" فعقبة أساء إلى كسيلة وأهانته بسليخ جلود الغنم ففر كسيلة من معسكر عقبة ومعه جموع بربر " اورية ". وتمكن من تكوين جيش ضخم من البربر... وفر إلى جبل " أوراس ". وعزم على التردد لعقبة وهو في طريق عودته من غزوة السوس "(2).

ويذهب بعض الباحثين إلى القول بأن كسيلة. حاول من خلال تمرده وثورته تخليص صديقه أبا المهاجر دينار الذي كان أسيرا في معسكر المسلمين وفي هذا يقول المالكي: " وقيل إن كسيلة إنما أتى ناصرا لأبي المهاجر لأنه كان صديقه. فقتل أبو المهاجر في التحام القتال ولم يعلم به "(3). فعقبة لما قدم القيروان في ولايته الثانية، بدأ عمله بالافتصاص من أبي المهاجر " فبادر بالقبض عليه وتقييده، وصادر ما معه من الأموال وجملتها مائة

(1) - ابن عذاري. البيان المغرب. ص 29 .

(2) - عبد العزيز سالم. المغرب الكبير. ج 2 . ص 221.

(3) - محمد الحنتر الغريباوي. البربر عرب قدامى. ص 45.

نحو القيروان"(1) وبسط نفوذه عليها وأسس بها مملكة بربرية حقيقية لمدة خمس سنوات. " بقي فيها البربر مستقلين حول كسيلة. الذي استمر حاكما بالقيروان ناصبا ميزان العدل"(2).

" ولم يعد هناك إذن بعد هذه العزيمة العانية مكان للجيش الإسلامية في إفريقيا وعاد الأمر كما بدأ أيام عمرو... والموفق الحربي انقلبت رأسا على عقب. والنصر الذي حققه المسلمون في خلال هذه السنوات منذ كانت جرائد الخيل التي كان يبعثها عمرو. حتى أوطأ عقبة فرسه من شاطئ المحيط. آل إلى الهزيمة الأليمة ... و كانت مأساة تهودة هي أقسى ما لقي المسلمون في فتوح المغرب. وقد تكون أقسى ما لقوا في الفتوح الأخرى. لم نشهد إلا مرة واحدة أن الجيش قد فني كله. ولم نشهد مرة أن حركة ارتداد شملت الأقطار المفتوحة بمثل هذه السعة الواسعة من طنجة إلى القيروان أو برقة"(3).

" وهكذا انتهت حملة عقبة الكبرى بكارثة إذ فقد العرب كل فتوحاتهم في إفريقيا والمغرب "(4).

وثورة بهذا الحجم. وبهذه النتائج الخطيرة وبهذه الطريقة التي تمت بها أيضا. لا يمكن بتاتا أن تربط بشخص واحد. كما يفعل الكثير من الباحثين الذين يعمدون إلى التقليل من حجم هذه الثورة وتقزيمها واختزالها بتفسيرها انطلاقا من عامل شخصي

(1) - نفسه. ص 231.

(2) - أحمد توفيق المدني. قرطاجنة في أربعة عصور. ص 154.

(3) - شكري فيصل. حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول. ص 170.

(4) - سعد زغلول. م. س. ص 29.

الغزو العربي

على سياسته المخالفة لسياسة عقبة العسكرية الصارمة
فعمل على اكتساب البربر باللين والمدارة"⁽¹⁾.

" وأبو المهاجر لم يسع إلى الغنيمة ولم يهتم بالمال، بل كان
يرمي إلى إتمام فتح البلاد فقط، وكان يستطيع أن يأخذ من أهل
قرطاجنة، مبلغا طائلا من المال حين فاضوه ليرجع عنهم ولكنه
أبى ذلك وعادهم على أن ينزلوا له عن شيء من أرضهم"⁽²⁾ وقد
كان غيره من قادة الفتح " لا يكادون يجرون على خطة مرسومة
أو حتى على علم بحالة البلاد، وكان همهم منصرفا دائما إلى
محاصرة بعض المدن والغنم منها"⁽³⁾.

" ولا شك أن سياسة أبي المهاجر هذه عملت على ازدياد
نطاق الإسلام في المغرب فدخول زعماء البربر في الإسلام يعني
دخول قبائلهم هي الأخرى... وهكذا أقام أبو المهاجر في القيروان
يوطد أركان الإسلام في المغرب، إلى وفاة معاوية، وخلافة ابنه
يزيد الذي أعاد عقبة من جديد إلى ولاية المغرب"⁽⁴⁾.

ولقد أصاب " كودل " كل الصواب حين دافع عن دينار وأكد
أن كونه مولى ليس عربيا قد قلل من قدره في حساب المؤرخين،
وجعله عند المقارنة أقل من عقبة مع أنه ليس أقل منه كفاءة
ولا مهارة... فلقد كان قائدا من الدرجة الأولى يفوق مجده مجد
عقبة نفسه وكل الآخرين، كان دينار في الواقع رجلا ماهرا"⁽⁵⁾.

(1) - سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ص 190.

(2) - حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 175.

(3) - نفسه، ص 182.

(4) - حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 113.

(5) - عبد العزيز سالم، م، س، ص 224.

ألف دينار... ثم أشفى غليله بتخريب مدينته التي بناها"⁽¹⁾.
"وغزا به السوس وهو في حديد"⁽²⁾. " وأخذ معه كسيلة أيضا
في حديد"⁽³⁾. " وتعمد إذلاله وإهانته بالرغم من أن أبا المهاجر
عرفه بمكانته"⁽⁴⁾. " وأنه من ملوك البربر ولم يستحكم الإسلام
من قلبه"⁽⁵⁾. و" يبدو أن عقبة كان يسعى لنقض سياسة أبي
المهاجر من أساسها وهي سياسة أثبت نجاحا عظيما إذ انتهت
بضم بربر أوربة إلى جانب المسلمين وبدخول عدد كبير منهم
في الإسلام، ولو أن عقبة تابع سياسة أبي المهاجر، لقدر له أن
يستكمل فتح المغرب كله دون أن يريق كثيرا من دماء المسلمين،
ولكن اصطناعه سياسة متناقضة، مدفوعا في ذلك بعامل
السخط على أبي المهاجر، كان السبب في حدوث الكارثة التي
أسفرت عنها غزوته الكبرى إلى السوس الأقصى"⁽⁶⁾. فقد
نشأت بين كسيلة وأبي المهاجر صداقة متينة، كان أساسها
السياسة الودية التي انتهجها البربر " حيث ابتنى ونزل بالقرب
من قرية بربرية تعرف " بذكرور " وهذا يعبر عن تفكير أبي المهاجر
في المزج والتقريب بين العرب والبربر وهو الأساس الذي أنبنت
عليه سياسته، ويذكر الكتاب لأبي المهاجر أنه أول من طبق
سياسة الاستقرار الدائم للعرب في إفريقية وسار أبو المهاجر

(1) - عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج 2، ص 221.

(2) - ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص 85.

(3) - حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 181.

(4) - العريايوي، م، س، ص 43.

(5) - ابن عذاري، البيان المغرب، ص 29.

(6) - عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ص 220.

الغزو العربي

يقتل وبأسر أمة بعد أمة وطائفة بعد طائفة" (1). " ولا نزاع في أن إسلام كسيلة، كان حدثا عظيما له معناه وأثره البعيدان، فأما معناه فنجاح الفتح الإسلامي (دينار) في تأدية الغرض الأسمى من هذا الفتح نشر الإسلام و أما تأثيره فلا نزاع في أن كسيلة لم يسلم بمفرده، وإنما تبعه نفر كبير من قومه" (5). " والذي يفهم من النصوص أن كسيلة لم يرتد عن الإسلام، وقرينة ذلك انه عامل المسلمين في القيروان معاملة طيبة، والحقيقة أن كسيلة ما كان ليرتد بعد أن حسن إسلامه" (3) ويظهر ذلك من خلال سلوكه وتصرفه مع المسلمين والذي ينم عن مبادئ إسلامية وقيم أخلاقية عالية، " فبعد عملية " تهودة " تحول بجيشه الكثيف إلى القيروان...

ولم يقم بأي أعمال انتقامية بل أمن من فيها وظل بها مدة خمس سنوات لم يمس خلالها بسوء من بقي من المسلمين عربا وبربرا، الذين عاشوا طيلة هذه الفترة أحرارا في ممارسة شؤونهم ومعتقداتهم، والجدير بالذكر أن كسيلة لم يقم بأي عمل حربي ولم يلاحق الفارين إلى برقة مع أنه كان قادرا على ذلك وفي وسعه الانتقام من العرب الباقين ومن كل الذين دخلوا في دينهم وأزروهم" (4). " وكان كسيلة في خلق عظيم من البربر والروم فدعا أشرفهم وأكابرهم فشاورهم وقال لهم: إنني أردت

(1) - ابن عذاري، البيان المغرب، ص 26.

(2) - حسين مؤنس، م، س، ص 176.

(3) - سعد زغلول، م، س، ص 207.

(4) - محمد مختار العرياوي، م، س، ص 44.

" وأعماله كانت على جانب كبير من الأهمية لأنه أول من جعل غايته الأخيرة فتح البلاد وتثبيت قدم العرب و الإسلام فيها" (1) وكل هذه، الميزات التي تميز بها دينار جعلت البربر و زعيمهم كسيلة يقدرونه ويقبلون على دعوته إلى الإسلام، بل إن الكتاب يقولون إن كسيلة والبربر ثاروا لتخليص أبي المهاجر من أسرهم.

لكن حقيقة الثورة أنها كانت ثورة لكل المغاربة ردا على تجاوزات كل قادة الفتح ولم تكن ثورة رجل واحد (كسيلة) ردا على رجل آخر (عقبة) كما يزعم الكثير من الباحثين.

وكانت بوادر هذه الثورة قد بدأت منذ الغارات الأولى وبالتالي التجاوزات الأولى في حق البربر، " فمن الثابت أن أمور إفريقية كانت على حال من الاضطراب تؤيد قول ابن الأثير أن معاوية بن حديج وصل إلى إفريقية و هي نار تضطرم" (2) وتكاثف الضغط وجمعت عوامل الثورة التي تفجرت في ولاية عقبة بن نافع، بعد أن توفرت الظروف المناسبة، إن على المستوى العسكري أو التنظيمي، وأهم من كل هذا بعد أن استطاع البربر التمييز بين نوعين من أوجه التعامل معهم من قبل قادة الفتح، ومثل هذان الوجهان بوضوح أبو المهاجر دينار ونقيضه عقبة بن نافع، الذي غزا قبيلة أوربة البرانسبية التي كانت " قد أسلمت بإسلام كسيلة و ليس هناك ما يدعو إلى غزوها" (3). " فأوغل في الغرب

(1) - نفسه، ص 157.

(2) - ابن عذاري، البيان المغرب، ص 26.

(3) - حسين مؤنس، م، س، ص 176.

ثورة المغاربة بزعامة داهيا (الكاهنة):

" بعد مقتل كسيلة بن لمزم، زعيم قبيلة أوربة البرانسسية، لم يتوقف تيار التمرد البربري على الوجود العربي الإسلامي في بلاد المغرب، إذ اندلعت ثورة بربر الأوراس البترية الملامح" (1). وعلى هذا فتورة الكاهنة امتداد طبيعي ومنطقي لثورة كسيلة انطلاقا من نفس الأسباب ونفس العوامل فإذا كان البربر بزعامة كسيلة ثاروا على عقبة لأنهم رأوا أن " عقبة أراد بحبس كسيلة وإهانته أن يؤكد لأهل البلاد استخفافه بهم وتحقيره لشأنهم فغضبت أوربة ومن والاهما من القبائل" (2) بعد أن اشتد الضغط على البربر فتولد الانفجار.

فإن ثورة الكاهنة انطلقت هي الأخرى من نفس الضغط الذي مارسه الفاتحون، لكن في شقه الاقتصادي، " حيث لاحظت الكاهنة أن العرب ما يكادون ينزلون البلاد حتى تتوجه همتهم إلى المدائن والنواحي العامرة، يبذلون وسعهم في الاستيلاء عليها، فإذا تم ذلك انقضوا على الخيرات والنفائس والأموال فانتهبوها ولم يخلفوا وراءهم منها شيئا ... فوقع في ظنها أن العرب لا يريدون من فتح هذه البلاد إلا أمرا واحدا الأموال والغنائم والأسلاب والسبي فأحبت أن تقطع رجاء العرب في البلاد بأن تقضي على كل معالم العمران فيها" (3) فقالت

(1) - صابر محمد، م. س. ص 100.

(2) - حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 181.

(3) - حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 252.

أن أرحل إلى مس فأنزلها فإن هذه المدينة (أي القيروان) فيها خلق من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم" (1). " فأمن كسيلة من بقي بالقيروان من المسلمين" (2).

يضاف إلى هذا أن كسيلة عندما أسرف في " تهودة" بعض الوجوه مثل محمد بن أوس الأنصاري ويزيد بن خلف العبسي لم يصبهم بأي أذى بل قبل تدخل ابن معاذ صاحب قفصة الذي أفتدى هؤلاء الأسرى وبعث بهم إلى زهير في برقة" (3).

هكذا إذن كانت ثورة كسيلة ثورة كل المغاربة، ردا على أخطاء وجاوزات قادة الفتح ثورة جاءت مباشرة بعد وقوف البربر على التناقض الصارخ بين نبالة النص الإسلامي ودناءة ممارسة الفاتحين من خلال تعاملهم مع سياسة نبيلة دشنتها أبو مهاجر دينار وأخرى دنيئة وقع فيها القادة الآخرين وشهدت أوجها وتوهجها أثناء ولاية عقبة، فنهض المغاربة للثورة، وعبروا عن سخطهم بوجه حضاري مستمد من أخلاق وقيم الإسلام، وجرى في ذلك في تعاملهم مع الأسرى المسلمين، وهذا يدل على أن الثورة لم تكن ثورة ضد الإسلام وإنما كانت ثورة على تجاوزات تصرفات بعيدة كل البعد عن الإسلام، وحتى عندما كان المغاربة يقبلون على الردة بأعداد كبيرة، فإنها كان ذلك من أجل الاحتجاج وإسماع صوتهم لأن ذلك ما استطاعوا التعبير به عن رفضهم وعدم تقبلهم هذه الصور المشوهة عن الإسلام.

(1) - الرقيق القيرواني، م. س. ص 18-19.

(2) - ابن عذاري، م. س. ص 31.

(3) - العريباوي، م. س. ص 44.

الغزو العربي

للبربر: إن العرب إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة... فلا نرى لكم إلا خراب بلاد إفريقية كلها. حتى بيأس منها العرب فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدهر" (1) والحقيقة أن العرب الفاتحين هم الذين أعطوا لنفسهم هذه الصورة السيئة التي ترسخت لدى البربر فكان عملهم هذا على حد تعبير "وليم مرسييه": "تضحية وطنية. وقد أقدم عليها الوطنيون أكثر من مرة إذ يفضلون خراب بلادهم على الاستعباد" (2). "ولقد كانت سياسة التخریب التي اتبعتها الكاهنة موضع جدل بين الكتاب الأوربيين " فيروفسنال " يؤيد مقالة " جاتو " (Gateau) ويقول أنه من الواضح أن نسبة هذا العمل، الذي يخالف طباع البربر إلى الكاهنة لا بد أن تكون محل شك، ولا ريب أن العرب وهم المسئولون الحقيقيون عما أصاب إفريقية من خراب البلاد: الاقتصاد الزراعي، بعد ذلك بسنوات هم الذين نسبوا إلى بطلة الأوراس هذه الجريمة التي لا بد أن نضيفها إلى حسابهم دون أدنى ظل من الشك أو التردد" (3).

"وكانت قد أسرت بعد انتصارها على المسلمين في وادي مسكيانة نحو ثمانين رجلاً من أشرف العرب أفرجت عنهم بعد انسحاب حسان من إفريقية وفي هذا يقول ابن عذاري: "وكانت الكاهنة لما أسرت ثمانين رجلاً من أصحاب حسان، أحسنت إليهم وأرسلت بهم إلى حسان وحبست عندها خالد ابن يزيد فقالت له يوماً: ما رأيت في الرجال أجمل منك ولا أشجع وأنا أريد أن أرضعك فتكون أماً لولدي" (5). "فكما فعل كسيلة عقب

(1) - سعد زغلول، م. س. ص 220-219.

(2) - عبد العزيز سالم، م. س. ص 245.

(3) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 37.

(4) - سعد زغلول، م. س. ص 220.

(5) - إبراهيم بيضون، ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، ص 286.

فيما يخص الجانب العسكري في ثورة الكاهنة، فقد تمثل في مواجهتها لجيوش حسان بن النعمان، " إذ يذكر ابن دينار أن الكاهنة لما علمت بأمر حسان بن النعمان الغساني قدمت إليه في عسكر عظيم... والتقت به على واد مسكيانة بشرق القطر الجزائري" (4) " ولم يستطع حسان الذي سارع إلى اعتراضها

(1) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 36.

(2) - حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 246.

(3) - سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج 1، ص 221.

(4) - محمد الحنار الغرباوي، مرجع سابق، ص 48.

وفاة عقبة، أطلقت الكاهنة سراح الأسرى العرب وأعادتهم إلى حسان" (1).

وفي هذا يقول مرسية يعلق على انتصار الكاهنة على حسان و معاملتها لأسرى المسلمين: " وهكذا ضرب البربر _ للمرة الثانية _ مثلا في الإنسانية لهؤلاء الذين لم يكونوا يتخذون أساليب أخرى غير العنف والقتل" (2) واستمر انتصار الكاهنة لمدة خمس سنوات فرضت فيها على حسان بن النعمان إقامة جبرية في برقة، ليتلقى بعد ذلك الدعم والإمداد من دمشق ولا نشك أدنى شك في أن حسان بن النعمان استفاد كثيرا من الأخبار التي كان يزوده بها خالد ابن يزيد في معرفة أحوال الكاهنة وجيوشها وتنظيماتها وخططها الحربية، على اعتبار إن خالد ابن يزيد كان يقوم بشبه جوسسة عند الكاهنة. " وأمرت الكاهنة قبل المعركة الحاسمة بيوم أولادها بأن يسلموا أنفسهم إلى العدو، ولقد بين " كوتيه " في مقارنة موحية كيف أن هذا الصنيع طبيعي بالنسبة لقائد بربري يضع سلطان عائلته على القبيلة فوق كل اعتبار، وخاضت الملكة وقد تقدمت بها السن معركة ميؤوسا منها في مكان ربما يكون قرب " طبرقة " ثم طوردت وخلصاؤها حتى الأوراس، وقتلت قرب بئر تسمى من ذلك الوقت بئر الكاهنة، وحمل رأسها مشهرا إلى الخليفة، وبموتها انتهت فترة الدفاع البطولي" (3) إلى حين.

(1) - عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج 2، ص 245.

(2) - حسين مؤنس، م، س، ص 246.

(3) - شارل أدري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج 2، ص 26.

تجاوزات الولاية في بلاد المغرب

المبحث الأول: مفهوم عصر الولاية:

" يطلق مصطلح عصر الولاية في بلاد المغرب والأندلس أو الغرب الإسلامي كما يسمى أيضا على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد ابن عبد الملك لموسى بن نصير (96-86 هـ / 715-705م) من بلاد المغرب والأندلس سنة 96 هـ / 715 م، حتى قيام الدولة المستقلة عن السلطنة المركزية (دار الخلافة) في هذه المنطقة" (1) بعد ثورات المغاربة كدولة المدرارين بسجل ماسية سنة 140 هـ والرسامين بتيهت سنة 161 هـ وإمارة نكورة في نهاية القرن الأول الهجري، والبوغواطيين بتامسنا في العقد الثاني من القرن الثاني الهجري ... " ويبدل هذا الاسم _ أي عصر الولاية _ على وضع سياسي معين شهدته البلاد الإسلامية في الجناح الغربي من الخلافة، منذ أن تم للمسلمين فتحها في نهاية القرن الأول الهجري الموافق للسابع الميلادي" (2). " فمنذ ولاية موسى بن نصير أصبح حاكم البلاد أميرا يقيم بالقيروان" (3). وكانت الأندلس تابعة لولاية المغرب.

(1) - عبد العزيز فيلالي، المظاهر الكبرى في عصر الولاية ببلاد المغرب والأندلس، ص 21.

(2) - نفسه.

(3) - محمود إسماعيل، قضايا في التاريخ الإسلامي، ص 124.

الغزو العربي

والأقصى عن إدارة الخلفاء وولاتهم في افريقية".

وكان هذا الخروج التدريجي للمغرب عن السلطة المركزية الأموية في المشرق والذي برز من خلال مجموعة من الدويلات المستقلة في جميع أنحاءه. هو المؤدي إلى الانفصال التام والاستقلال النهائي في نهاية المطاف. بعد الثورات التي اندلعت كذلك أثناء الحكم العباسي.

" فوالى افريقية يولي على الأندلس من أحب"(1). " فكانت بلاد المغرب والأندلس تتبع السلطة المركزية مباشرة في دمشق. في عهد الدولة الأموية. ثم بغداد في عهد الدولة العباسية على اعتبار أنهما _ أي المغرب والأندلس _ كانا " يخضعان أنداك إلى الولاة المقيمين في القيروان"(2). " الذين تولوا شؤونهما باسم السلطة المركزية. وقاموا بتنفيذ السياسة التي رسمها الخليفة وأعوانه في عاصمته في بلاد المشرق"(3) هذه السياسة التي سقطت في الكثير من السلبيات والأخطاء والتجاوزات. إن على المستوى الأخلاقي أو العنصري أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو العسكري. فما كان على المغاربة إلا أن يردوا بطريقتهم الخاصة والمعتمدة على امتداد تاريخهم الطويل. أي بالثورة.

"واتسم عصر الولاة في بلاد المغرب. بأربعة مظاهر كبرى هي: 1 - تفشي الروح العصبية والعنصرية القبلية بين القبائل العربية. 2 - ظهور الممارسات السلبية للسياسة الأموية وإدارتها في بلاد المغرب. 3 - انتشار المذهب الخارجي (الصفري والإباضي) بين القبائل المغربية. 4 - اندلاع الثورات والانتفاضات الشعبية المغربية المسلحة العديدة في بلاد المغرب. ضد ولاة السلطة المركزية والتي انتهت بطبيعة الحال إلى قطيعة بين أهل المغرب. والخلافة الأموية. وخروج معظم مناطق المغربين الأوسط

(1) - ابن القوطية. تاريخ افتتاح الأندلس. ص 37.

(2) - شزل أندري جوليان. تاريخ إفريقيا الشمالية. ج 2. ص 36.

(3) - عبد العزيز فلالي. م. س. ص 121.

(1) - عبد العزيز فلالي. المظاهر الكبرى لعصر الولاة لبلاد المغرب والأندلس. ص 23.

المبحث الثاني:

كرونولوجيا حكم الولاية في بلاد المغرب:

أبو جعفر المنصور	(150-154هـ/ 771-767م)	عمر بن حفص بن عثمان الأزدي
أبو جعفر المنصور	(154-155هـ/ 772-771م)	استيلاء الخوارج بزعامة أبي حاتم الملزوزي المغيلي على القيروان
أبو جعفر المنصور - محمد المهدي - الهادي - هارون الرشيد	(155-171هـ/ 772-788م)	يزيد بن حاتم الأزدي
هارون الرشيد	(172-174هـ/ 792-790م)	روح بن حاتم
هارون الرشيد	(174-177هـ/ 795-792م)	حبيب بن نصر المهلبى
هارون الرشيد	(177-178هـ/ 796-795م)	الفضل بن روح بن حاتم
هارون الرشيد	(178-181هـ/ 799-796م)	هرثمة بن أعين
هارون الرشيد	(181-184هـ/ 801-799م)	محمد بن مقاتل المكي

الوالي	فترة ولايته	عهد الخليفة
عبد الرحمان بن حبيب	(127-137هـ/ 755-745م)	مروان بن محمد - أبو العباس السفاح - أبو جعفر المنصور.
إلياس ابن حبيب	(137-139هـ/ 756-755م)	أبو جعفر المنصور
استيلاء الخوارج بقيادة عاصم بن جميل زعيم قبيلة ورجومه على القيروان عاصمة الولاية.	(139-141هـ/ 759-756م)	أبو جعفر المنصور
استيلاء الخوارج بقيادة أبي الخطاب المعافري على القيروان	(141-144هـ/ 761-759م)	أبو جعفر المنصور
محمد بن الأشعث الخزاعي	(144-148هـ/ 765-761م)	أبو جعفر المنصور
الأغلب بن سالم الخزاعي	(148-150هـ/ 767-765م)	أبو جعفر المنصور

الغزو العربي

يكفل لها البقاء والاستمرار، فكانت تارة تتعصب للقيسية، وأخرى تشايح اليمينية، وكان ولايتها في المغرب يتعصبون بالتالي لبني جلدتهم ويؤثرونهم بالحظوة ويبطشون بالفرع الآخر" (1). فقد كان العرب الذين استقروا في المغرب أيام موسى بن نصير من اليمينية وهم غالبية عرب الفتح فأزروا موسى خلال ولايته ولما عزل، " واستقر يزيد في المغرب سنة 102 هـ طبق سياسة الحجاج العنيفة" (2) وخرج وهو يقول: مالي عذر إن لم أعدل (3) " أن قيسيا متعصبا لقيسيته فكان هدفه الرئيسي وشغله الشاغل القضاء على نفوذ آل موسى لذلك فمجرد وصوله إلى المغرب، اخذ يتبعهم ويلاحقهم ويبطش بهم وينزع منهم أموالهم وممتلكاتهم ويضيفها إلى خزائنه وخزائن قومه وخزائن الخلفاء. " ثم وصله الأمر بأخذ عبد الله بن موسى بن نصير، وتعذيبه واستئصال أموال بني موسى نسجته محمد وعذبه، ثم قتله بعد ذلك ... أما عبد العزيز بن موسى ... فجاءت الكتب إلى حبيب بن أبي عبدة ووجه العرب من سليمان بن عبد الملك يأمرهم بقتله، فقتلوه وحمل رأسه ورأس أخيه عبد الله حتى وضعوا بين يدي أبيهما موسى وهو في عذابه " (4).

وفي ولاية يزيد بن أبي مسلم عاد نفوذ اليمينية من جديد فانتقم من سلفه " فأخذ محمد ابن يزيد القرشي فعذبه

(1) - محمود إسماعيل، قضايا في التاريخ الإسلامي، ص 115.

(2) - سعد زغلول، م. س. ص 28.

(3) - الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص 58.

(4) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 47.

المبحث الثالث:

الممارسات السلبية للولاة ببلاد المغرب:

تفشي الروح العصبية والنزاعات السياسية بين الولاة:

من الأكيد أن العرب انتقلوا إلى بلاد المغرب، ونقلوا معهم أفكارهم وعاداتهم وتقاليدهم، وثقافتهم، كما نقلوا أيضا نزاعاتهم المذهبية والقبلية وصراعاتهم العصبية والسياسية التي طغت على مجريات أحداث بلاد المغرب في هذه الفترة بحيث عانت من النزاعات السياسية وفتنها ومواجهاتها نتيجة للخصومات القبلية بين الولاة من القيسية واليمينية، حتى أن الكثير من الدارسين يعتبرون هذه الخصومات القبلية ونتائجها احد أهم وأبرز أسباب ثورات البربر على الحكم الأموي بل إنها " كانت من أسباب هزيمة الجيوش العربية أمام الثوار " (1) المغاربة.

و يعود السبب الرئيسي في انتشار هذا المظهر و تفاقم أحداثه ... إلى السياسة التي اتبعها خلفاء بني أمية " (2). " فالخلافة الأموية مسؤولة عن ذلك إلى ابعد الحدود إذ شجعت على إذكاء الضغائن بين القبائل بقصد أحداث نوع من التوازن

(1) - محمود إسماعيل، قضايا في التاريخ الإسلامي، ص 114-115.

(2) - عبد العزيز فلالي، م. س. ص 24.

التعصب لعشيرته انه استخلف على البلاد قبل موته نفاش بن قرط الكلبي فعاث فيها وأسرف في إذلال القيسية" (1). " وعاود القيسية الظهور حين ولي هشام بن عبد الملك عبدة بن عبد الرحمان القيسي" (2) " فدخل القيروان فجأة وذلك يوم الجمعة، فألقى خليفة بشر بن صفوان قد تهيأ لشهود الجمعة، ولبس ثيابه، فقيل له: هذا عبدة قد قدم أميراً، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، هكذا تقوم الساعة بغتة، وألقى بنفسه فما حملته رجلاه" (3) وهذه الرواية تبين التخوف الكبير والرعب الواضح الذي كان ينتاب عمال وأتباع الولاة السابقين، كلما سمعوا بقدوم الوالي الجديد. " وكان عبدة هذا قيسياً متعصباً" (4) " وكما جرت العادة بدأ يتتبع عمال الوالي القديم ومعاونيه في سبيل البحث عما اكتنزوه غداً من الأموال" (5) " فأخذ عمال بشر وأصحابه، فحسبهم وأغرمهم وعذبهم". " وزج بهم في السجون، وصب عليهم سوط العذاب ثم اغتصب منهم مبالغ ضخمة، إرضاء لطمع مولاه" (6) " وكان شديد الوطأة على كل من ينتمي إلى اليمنية على حد تعبير حسين مؤنس" (7) " وكان من ضحايا سياسته التعصبية عامل من عمال بشر بن صفوان

(1) - محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب، ص 29.

(2) - نفسه.

(3) - ابن عذاري، البيان المغرب، ص 50.

(4) - عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج 2، ص 296.

(5) - سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج 1، ص 274.

(6) - ابن عذاري، البيان المغرب، ص 50.

(7) - دوزي، تاريخ مسلمي أسبانيا، ج 1، ص 135.

وجلده جلداً وجيعاً فاستقاه فسقاه رمادا، وكان محمد بن يزيد قد ولي عذاب يزيد بن أبي مسلم في المشرق في زمان الحجاج، فقال له يزيد: إذا أصبحت عذبتك حتى تموت أو أموت قبلك" (1). " فرمى به في السجن وأشبعه جلداً وتعذيباً" (2) ولاحق عماله وأتباعه فكان مصيرهم نسخة طبق الأصل لمصير واليهم محمد بن يزيد واستمر اليمنيون في تنكيلهم بالقيسيين على امتداد فترة ولايتهم بالمغرب بقيادة بشر بن صفوان، والذي كان من غلاة اليمنية، " فمال إلى القسوة والعنف فقام بقتل عبد الله بن موسى لانهامه بالتحريض على مقتل يزيد بن أبي مسلم وتتبع أمواله بالمصادرة وعذب مواليه بالرغم من كونه ينيا ولعل عذره في ذلك هو تنفيذ أوامر الخليفة وسياسته ضد آل موسى وأتباعه" (3) بحيث يذكر ابن عبد الحكم أن " يزيد كتب إلى بشر بن صفوان بأمره بقتل عبد الله بن موسى بن نصير" (4) " و يبدو أنه كان قاسياً في تعامله مع الرعية والقيسية على وجه الخصوص وهذا ما جعلهم يترقبون موته بفارغ الصبر وكان بشر يعلم بذلك.

إذ يذكر ابن عذاري أنه " لما حظرت الوفاة، قالت جاريته: واشماتة الأعداء! فقال لها: قولي للأعداء لا يموت" (5). " وبلغ به

(1) - ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص 88.

(2) - محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، ص 28.

(3) - عبد العزيز فيلالي، م. س، ص 35.

(4) - ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، ص 90.

(5) - ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص 49.

الغزو العربي

على نهج أسلافه القيسيين في التنكيل باليمنيين والإستجابة لمطالب الخلافة، المستفيدة من هذه المواجهات القيسية، اليمنية ولو إلى حين، كما استمر الولاة بعد عبيد الله بن الحبحاب، في نهج نفس السياسة القبلية إلى حدود سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ وقامت الدولة العباسية، في نفس العام فتحول الصراع تدريجيا، من صراع عربي - عربي، إلى صراع فارسي خراساني - عربي " فقد عول بنو العباس على إرسال جيوش متوالية من الفرس والخراسانيين لدعم نفوذهم في المغرب في الوقت الذي اختاروا فيه ولاة من العرب، ومنذ ذلك الحين ازدادت الأحوال السياسية في بلاد المغرب اضطرابا، شجع عليه اتجاه الخلافة أجاها شرقيا محابيا للعناصر الشرقية صاحبة الفضل في قيامها، فالعنصر العربي، قيسية ويمنية لم يجد سندا من الدولة فقام الصراع بين العرب من ناحية والفرس والخراسانيين من ناحية أخرى ... وأسفر عن أحداث خطيرة ... لعل من أهمها تمرد الجند على الوالي محمد بن الأشعث وطرده من المغرب سنة 148 هـ وتعيين وال آخر محله دون إذن الخليفة، كذا تمردهم على الوالي الأغلب بن سالم وقتله سنة 150هـ وأخيرا اغتصاب أحد زعماء الجند ويدعى ابن الجارود السلطة في القيروان فسرا وبطشه بأشباع الخلافة".

هذه لمحات فقط عن ذلك التدني والدناءة، الذي سقط فيه الولاة سواء في العصر الأموي أو العباسي، " والحديث عن هذا الموضوع سيطول بنا لو استطرنا فيه فالمصادر التاريخية (1) - محمود إسماعيل، قضايا في التاريخ الإسلامي، ص 128.

هو أبو الخطاب الحسام بن ضرار الكلبي، عزله عبدة ونكل به" (1) "فتولد في نفسه وهو في السجن حقد دفين ضد هذا الطاغية وضد القيسيين بصفة عامة" (2) فنضم قصيدة يشكو فيها حاله وحال كل اليمنيين إلى الخليفة هشام بن عبد الملك، فأنشد يقول :

أفأتم بني مروان قيسا دماءنا *** وفي الله إن لم تعدلوا حكم عدل
وقيناكم حر القنا بصدورنا *** وليس لكم خيل سوانا ولا رجل
فلما بلغت نيل ما قد أردتم *** وطابت لكم فيها المشارب والأكل
تغافلتم عنا كأننا لم نكن لكم *** صديقا وأنتم ما علمتم لنا وصل
فلا تجزعوا إن عضت الحرب مرة *** وزلت عن المرقاة بالقدم النعل (3)
وبعث بهذه الأبيات إلى الخليفة الذي أمر بعزل عبدة عن إفريقية والمغرب وكان للخوف من الحرب الأهلية وقع شديد في نفس الخليفة الذي صاح قائلا: " فبح الله ابن النصرانية، هذا الذي لم يطع أوامري" (4).

" واستمرت محنة اليمنية في المغرب في عهد عبيد الله بن الحبحاب الذي تقلد الولاية سنة 116هـ ولاقى أشباعهم على يديه عننا شديدا" (5).

" فقد كان هو الآخر قيسيا متعصبا لقيسيته" (6)، فسار

(1) - عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج 2، ص 297.

(2) - دوزي، تاريخ مسلمي أسبانيا، ج 1، ص 137.

(3) - الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، ص 69-70.

(4) - دوزي، تاريخ مسلمي أسبانيا، ج 1، ص 137

(5) - محمود إسماعيل، الخوارج في المغرب الإسلامي، ص 29.

(6) - عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ص 298.

والمدونات والكتب الأدبية والدواوين الشعرية، أسهبت في الحديث عنه"، وإذا ما جارينا نحن أيضا هذه المصادر والمدونات وأسهبنا في الحديث أكثر عن هذا الموضوع فسيطول بنا الحديث بشكل لا يتصور.